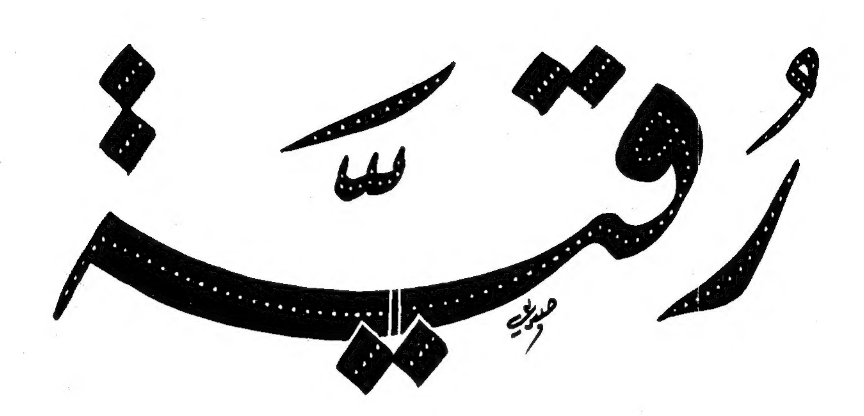
بنات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٤)



رضي الله عنها

ذات الهجرتين

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

رُقَيَّةُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

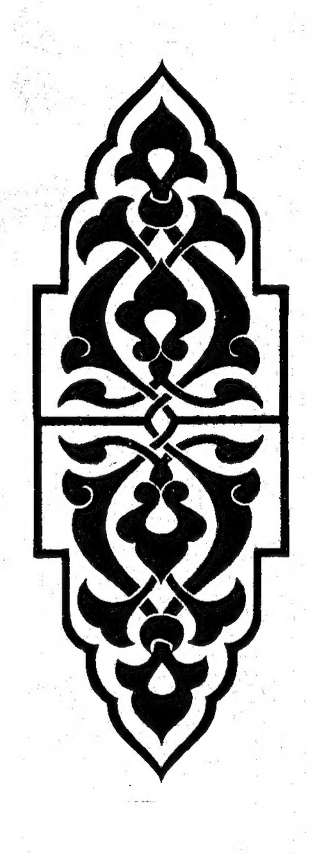
حَمَلَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ الله عنهَا) ، فَفَرِحَتْ فَرَحاً عَظِيماً ، فَمَوْلُودُهَا الثَّانِى سَيَزِيدُ مِن تَوْطِيد الصِّلَةِ وَالمَحَبَّةِ الَّتِى تَرْجُو أَنْ تَدُومَ وَتَطُولَ ، وَأَنَّ هَذَا المَوْلُود سَيُسَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَرَاحَتْ نَفْسَهَا وَتَرَكَتْ لِلْخَدَمِ كُلَّ أَعْمَالِ البَيْتِ وَالضِّيَافَةِ .

انْتَظَرَتِ السَّاعَةَ الَّتِى تَلِدُ فِيهَا المَوْلُودَ الثَّانِى ، فَمَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِبِنْتٍ ثَانِيَةٍ ، تَمْتَازُ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ .

فَرِحَ بِهَا أَبُوهَا ، فَكَانَ يَحْمِلُهَا وَيُنَاجِيهَا ، وَيَهْتَمُّ بِهَا ، وَقَدْ أَفْرَدَتْ لَهَا أُمُّهَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) مُرَبِّيَةً تَرْعَاهَا وَتَقُومُ بِخِدْمَتِهَا، وَهِىَ تَنْمُو وَتَكْبُرُ إِلَى أَنْ جَاوَزَتِ العَاشِرَةَ .

بَيْنَ عُتْبَةَ وَعُثْمَانَ

كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِىَ الله عنهُ) يَمُرُّ أَمَامَ بَيْتِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الله ﷺ ، وَهُوَ فِى طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِهِ فَأَبْصر صَبِيَّةً بَيْضَاءَ جَمِيلَةَ الشَّكْل وَالْهِنْدَامِ فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَقِيلَ



لَهُ : إِنَّهَا رُقَيَّةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الله ﷺ وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِيَ الله عنهَا) ، فَأُعْجِبَ بِجَمَالِهَا ، وَسُرَّ بِنَسَبِهَا ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ إِلَى أَبِيهَا ، أَوْ يُكَلِّمَ صَدِيقَهُ وَصَدِيقَ أَبِيهَا عَبْد الله بن أَبِى قُحَافَةَ (أَبُو بَكْرٍ) (رَضِيَ الله عنهُ) لِيَتَوَلَّى أَمْرَ الخِطْبَةِ عَنْهُ .

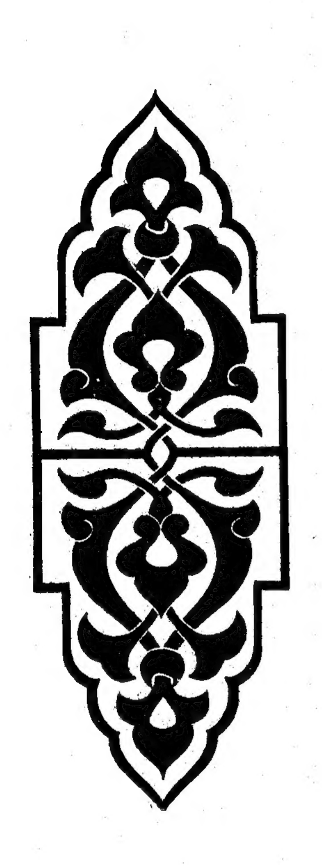
وَبَيْنَمَا كَانَ عُثْمَانُ (رَضِيَ الله عنهُ) يُفَكِّرُ فِي كَيْفِيَّةِ الوُصُولِ إِلَى مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ اللهِ ﷺ لِيَخْطُبَ ابْنَتَهُ رُقَيَّةَ (رَضِيَ الله عنهَا) ، كَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ يُدَبَّرُ لِخِطْبَةِ تِلْكَ الصَّبِيَّةِ ، لَيْسَتْ وَحْدَهَا ، بَلْ وَمَعَهَا أُخْتُهَا أُمّ كُلْثُوم (رَضِيَ الله عنهُمَا) .

كَانَ عَبْدُ العُزّى بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمُّ مُحَمَّدِ ابْن عَبْدِ اللهِ ﷺ وَأَخُو عَبْد اللهِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ يُفَكِّرُ فى أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَهُ عُتْبَةَ مِنْ بِنْتِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَكَانَتْ بِهِ حِدَّةٌ فَذَهَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِى طَالِبٍ ، وَقَالَ يُخَاطِبُهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : يَا أَبَا طَالِبِ ! .. هَاتِ يَا عَبْدَ العُزَّى مَا عِنْدَكَ مِنْ أَخْبَارٍ .

يَا أَخِي أَلَسْنَا أَوْلَى بِبَنَاتِنَا مِن ابْنِ الرَّبِيعِ ، يَعْتِبُ عَلَى زَوَاجِ زَيْنَبَ ، وَأَنْ يَتْرُكَ مُحَمَّدٌ ابْنَهُ عُتْبَةَ ، وَيُزَوِّجُ زَيْنَبَ إِلَى ابْن أَبِى الرَّبِيع ، وَابْنُهُ أَوْلَى بِهَا مِنْهُ ؟!

قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبِ : هَلْ تَقَدَّمْتَ إِلَيْنَا تَطْلُبُ الخِطْبَةَ ، وَرَدَدْنَاكَ ؟

فَقَالَ عَبْدُ العُزَّى : الآنَ أَتَقَدَّمُ إِلَيْكُم لِأَخْطُبَ رُقَيَّةَ لابْنِي عُتْبَةَ .



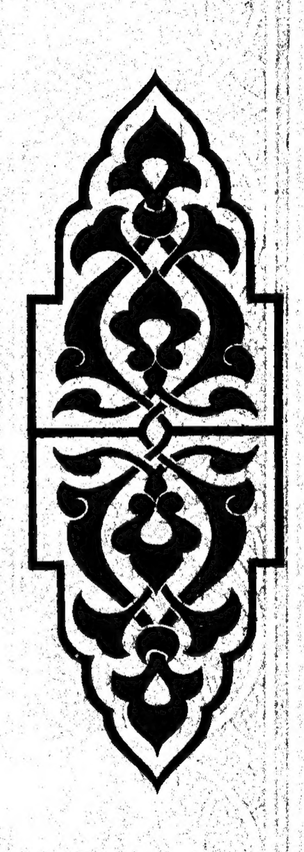
قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا أَخِى مَا دُمْتَ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَ ابْنَكَ عُتْبَةَ ، فَإِنِّى أَرَى أَنَّ مُحَمَّداً لَا يُمَانِعُ فِى ذَلِكَ ، فَهَيَّا إِلَى بَيْتِ مُحَمَّدٍ .

اتَّفَقَ الأَخَوَانِ أَبُو طَالِبٍ وَعَبْدُ العُزَّى عَلَى أَنْ يَذْهَبَا وَمَعَهُمَا جَمْعٌ مِنْ أَبْنَاءِ عَبْدِ المُطَّلِب وَبَنِى هَاشِمٍ ، وَكَذَلِكَ أُمُّ جَمِيلٍ زَوْجَةُ عَبْدِ العُزَّى وَوَلَدُهُ عُتْبَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ ابْنِ أَخِيهِ .

ذَهَبُوا جَمِيعاً إِلَى بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَدِيجَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ، وَلَمْ يَتْرُكْ عَبْدُ العُزَّى حِدَّتَهُ ، بَلْ خَاطَبَ مُحَمَّداً ابْنَ أَخِيهِ ﷺ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ يَعْتِبُ عَلَيْهِ تَرْكَهُ لابْنِهِ ، وَتَزْوِيجِهِ زَيْنَبَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) لأَبِى العَاص .

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ عَبدِ العُزَّى : يَا عَمَّاهُ ، مَا تَقَدَّمْتَ إِلَيْنَا لِتَخْطُبَ ابْنَةً مِن بَنَاتِنَا ، وَمَا حَضَرَ إِلَيْنَا عُتْبَةُ حَتَّى نَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ ، وَهُنَا تَدَخَّلَتْ أُمّ جَمِيلٍ زَوْجُ عَبدِ العُزَّى لِتُكْمِلَ الحَدِيثَ ـــ وَكَانَ عِنْدَهَا مِنَ الجُرْأَةِ عَلَى مُحَادَثَةِ الرِّجَالِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهَا ـــ فَقَالَتْ : وَلَكِنْ ... إِنَّنِى أُحِبُّ خَدِيجَةَ ، وَأَحْتَرِمُهَا كَثِيراً ، وَأَوَدُّ أَن أَزُورَهَا ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّنِى لَمْ أُفَاتِحهَا فِى خِطْبَةِ إِحْدَى بَنَاتِهَا ، وَلَعَلَّنِى أَكُونُ قَدْ أَخْطَأْتُ فِى ذَلِكَ ، وَلَكِنِّى الآنَ أَكْثَرُ سَعَادَةً ، إِذْ خِطْبَةُ عُتْبَةَ لِرُقَيَّةَ سَتَكُونُ أَكْثَرَ تَقَرُّباً وَصِلَةً وَمَوَدَّةً .

وَهُنَا تَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ أَكْثَرُ مَعْرِفَةً بِأَخِيهِ عَبْدِ العُزَّى وَابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : مَا رَأْيُكَ يَا مُحَمَّدُ فِى طَلَبِ عَمِّكَ ؟



قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ مُخَاطِباً عَمَّهُ أَبَا طَالِبِ : الأَمْرُ إِلَيْكَ يَا عَمَّاهُ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَوْلَادِ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَأَحَقُّهُم بالاحْتِرَام والتَّقْدِيرِ وَالإِجَابَةِ لِكُلِّ مَا تَطْلُبُ .

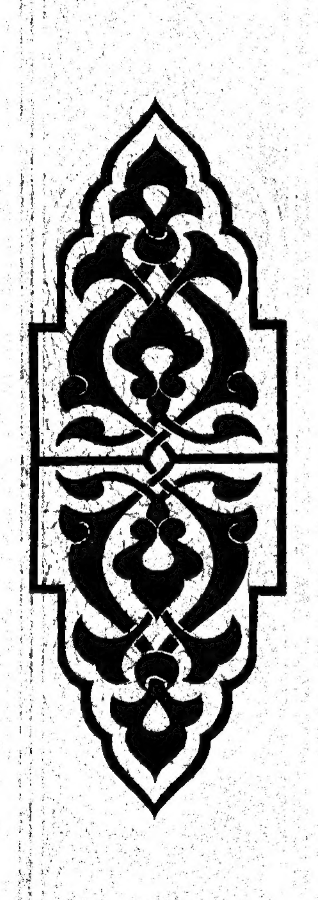
قَالَ أَبُو طَالِبِ : وَأَنْتَ يَا عَبْد العُزَّى ؟

قَالَ عَبْد العُزَّى : إِنَّنِى سَعِيدٌ كُلَّ السَّعَادَةِ بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى طَلَبِى ، وَابْنِى عُتْبَةُ سَيَكُونُ أَكْثَرَ سَعَادَةً !

كَثُرَ تَرَدُّدُ أُمِّ جَمِيلٍ زَوْجَةِ عَبْدِ العُزَّى عَلَى بَيْت خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَكَانَتْ كَثِيرَةَ الحَدِيثِ مَعَ خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، كَانَتْ تُخْبِرُهَا وَتُطِيلُ الكَلَامَ عَن نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَمَكَّةَ ، وَمَا يَقُمْنَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَمُشَارَكَتِهِنَّ للرِّجَالِ فِى النَّوَادِى الَّتِى كَانَتْ تَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا أُمّ جَمِيلٍ ، وَكَانَتْ تَعْرِضُ عَلَى خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) كَثِيراً أَنْ تُشَارِكَهَا فِى الذَّهَابِ إِلَى تِلْكَ النَّوَادِى .

لَكِنَّ خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) كَانَتْ تَمْتَنِعُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى نَوَادِى مَكَّةَ وَاللِّقَاءِ مَعَ الرِّجَالِ وَمُحَادَثَتهِنَّ .

وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَنْ تَتِمَّ الخِطْبَةُ وَالزَّوَاجُ ، وَأَن تَذْهَبَ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَى بَيْتِ عَبْدِ العُزَّى وَأُمّ جَمِيلٍ ، وَأَن تَكُونَ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الجَمِيعِ ، لِتَرْبِيَتِهَا فِى بَيْتِ خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتَمَسُّكِهَا بِالْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ الَّتِى تَرَبَّتْ عَلَيْهَا .



حُـزْنٌ وَشَـجَنٌ

عَلِمَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بِمُوَافَقَةِ مُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللهِ ﷺ عَلَى خِطْبَةِ رُقَيَّةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) وَزَوَاجِهَا مِن ابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ العُزَّى ، فَتَأَسَّفَ وَحزنَ ، إِذْ لَمْ يَكُن هُوَ خَطِيبُهَا وَزَوْجُهَا .

دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ مَهْمُوماً ، فَوَجَدَ عِنْدَ أُمِّهِ خَالَتَهُ (سَعْدِيَّة بِنْتَ كُرَيْزٍ) وَكَانَتْ كَاهِنَةً ، فَسَأَلَتْ عُثْمَانَ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : مَا لِى أَرَاكَ حَزِيناً مَهْمُوماً ؟

فَأَجَابَهَا عُثْمَانُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : وَمَا الَّذِى أَخْبَرَكِ أَنِّى حَزِينٌ ؟

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْت كُرَيْزٍ : أَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ .

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : وَإِذَا كُنْتِ تَعْرِفِينَ ذَلِكَ ، فَأَنْت أَوْلَى بِأَن تُخْبِرِينِى .

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْت كُرَيْزٍ : عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا تَحْزَنْ وَلَا تَيْأَس فَسَوْفَ تَتَزَوجُهَا .

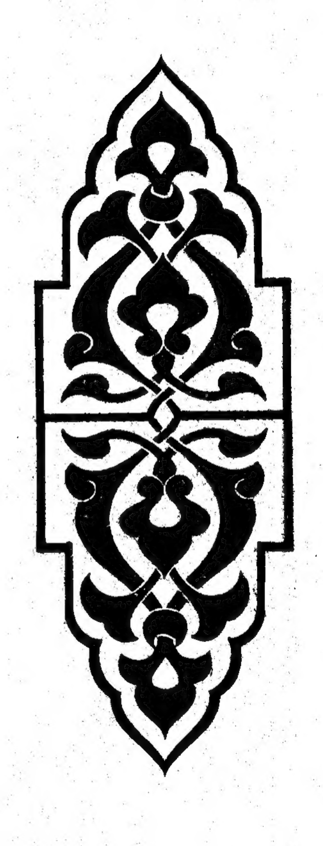
قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : مَنْ هِىَ يَا خَالَة ؟

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْت كُرَيْزٍ : أَتَظُنُّ أَنِّى لَا أَعْرِفُ ؟

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : قُولِى مَنْ هِىَ ؟

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْت كُرَيْزٍ : إِنَّهَا رُقَيَّةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ .

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْرِهَا



تُبَشِّرُ بِالْمَرأَةِ وَقَد تَزَوَّجَتْ بغَيْرِى ! فَقُلْتُ : أَيَا خَالَة مَا تَقُولِينَ ؟

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْتُ كُرَيْزٍ : (يَا عُثْمَانُ لَكَ الجَاهُ ، وَلِيَ الشَّأْنُ ، هَـذَا النَّبِيُّ مَعَهُ البُرْهَانُ ، أَرْسَلَهُ بِحَقِّهِ الدَّيّانُ ، وَجَاءَهُ التَّنْزِيلُ وَالْفُرْقَانُ ، فَاتَّبِعْه لاَ تَغْتَالُكَ الأَوْثَانُ !!) .

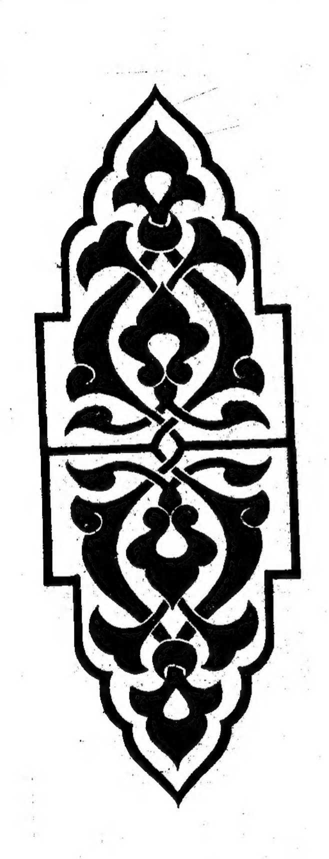
قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) : إِنَّكِ لَتَذْكُرِينَ أَمْراً مَا وَقَعَ بِبَلَدِنَا .

قَالَتْ سَعْدِيَّةُ بِنْتُ كُرَيْزٍ : مُحَمَّدٌ بن عَبْدِ اللهِ ﷺ رَسُولٌ مِن عِنْدَ اللهِ ، يَدْعُو إِلَى اللهِ .

إِرْهَاصٌ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

لَا شَكَّ أَنَّ مَا قَالَتْهُ إِنَّمَا هُوَ إِرْهَاصٌ بِدُنُوِّ رِسَالَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، وَكَانَ قَدْ اقْتَرَبَ نُزُولُ الوَحْى ، وَبالرَّغْمِ مِن أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ مَشْغُولًا بِهَذَا الأَمْرِ فَقَدْ وَافَقَ عَلَى زَوَاجِ ابْنَتِهِ .

لَمْ تَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَقَدْ نَزَلَ الوَحْىُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَعَرَفَ المُقَرَّبُونَ بِأَمْرِ الرِّسَالَةِ وَصَاحِبِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا ، وَبَدَتِ الحَقِيقَةُ وَاضِحَةً ، وَعَلِمَ النَّاسُ بِهَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الاسْتِجَابَة وَالتَّصْدِيقِ وَالإِيمَانِ ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَآمَنُوا وَأَخْلَصُوا لِلدَّعْوَةِ أَبُو بَكْرِ بن أَبِى قُحَافَةَ (رَضِىَ الله عنهُ) .



إِيمَانٌ باللَّهِ

يَقُولُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ الله عَنهُ) : لَقَدْ شَغَلَنِي مَا قَالَتْهُ لِي خَالَتِي ، فَانْطَلَقْتُ مُفَكِّراً ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَتْهُ خَالَتِي .

فَقَالَ (رَضِيَ الله عنهُ) : وَيْحَكَ يَا عُثْمَانُ ! إِنَّكَ رَجُلٌ حَازِمٌ ، مَا يَخْفَى عَلَيْكَ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ ، مَا هَذِهِ الأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُكَ ، أَلَيْسَتْ مِنَ الحِجَارَةِ صُمٌّ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ؟

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِي الله عنهُ) : بَلَى وَاللهِ ، إِنَّهَا لَكَذَلِكَ !

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِي الله عنهُ) : واللهِ لَقَدْ صَدَقَتْكَ خَالَتُكَ ، هَذَا رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ الله إِلَى خَلْقِهِ بِرِسَالَتِهِ !!

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِي الله عنهُ) : هَلْ لَكَ ـ يَا عُثْمَانُ ـ أَنْ تَأْتِيَهُ ؟

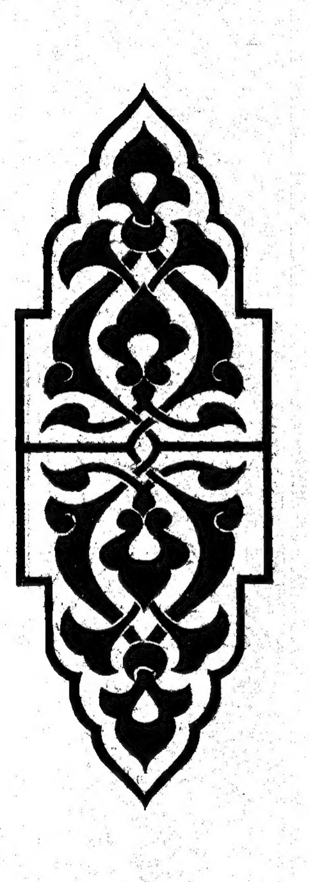
وَيُكْمِلُ عُثْمَانُ (رَضِيَ الله عنهُ) حَدِيثَهُ قَائِلًا :

فَاجْتَمَعْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَا وَمَعِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق ، فَقَالَ ﷺ : « يَا عُثْمَانُ أَجِبِ الله إِلَى حَقِّهِ فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ وَإِلَى خَلْقِهِ »(1) .

---

(1) البداية والنهاية (٧/٢٠٠) .

فَقَالَ عُثْمَانُ (رَضِى الله عنهُ) : (فَوالله مَا تَمَالَكْتُ نَفْسِى مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدتُّ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .



رُقَيَّةُ وَالدِّينُ الجَدِيد

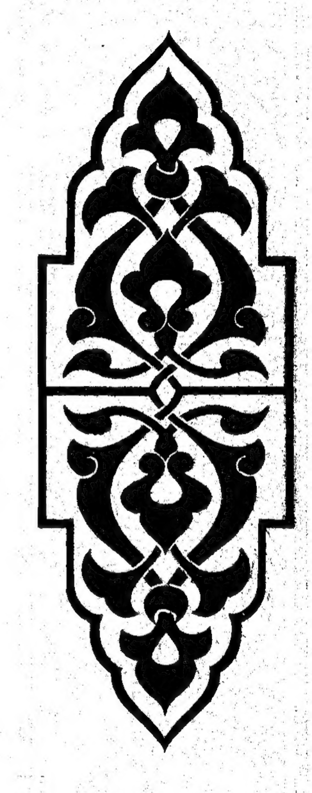
كَانَتِ الدَّعْوَةُ فِى أَوَّلِ أَمْرِهَا سِرِّيَّةً ، لَا تَظْهَرُ فِى مَجَامِعِ قُرَيْشٍ العَامَّةِ خَوْفاً مِن تَعَصُّبِ قُرَيْشٍ لآلِهَتِهَا ، فَمَن أَرَادَ العِبَادَةَ وَالصَّلَاةَ ذَهَبَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ ، يَعْبُدُ الله وَيُصَلِّى مُسْتَخْفِياً وَمَعَ هَذَا الاسْتِخْفَاءِ ، لَمْ يَسْلَمِ المُسْلِمُونَ مِنْ إِيذَاءِ المُشْرِكِينَ ، وَلَا مِنْ تَنكُّرِهِمْ لَهُمْ ، وَالعَيْبِ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ أَحْيَاناً يُقَابِلُونَ الشِّدَّةَ بِالشِّدَّةِ ، فَقَدْ ضَرَبَ سَعْدُ بنُ أَبِى وَقَّاصٍ (رَضِىَ الله عنهُ) رَجُلًا مِنَ المُشْرِكِينَ بِلَحى بَعِير فَشَجَّهُ ، وَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُهْرِيقَ فِى الإِسْلَامِ .

وَلَمْ يَكُنْ سَادَاتُ مَكَّةَ فى أَوَّلِ الأَمْرِ يَعْبَؤُونَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَظَنُّوا أَنَّ حَدِيثَهُ لَن يَزِيدَ عَلَى حَدِيثِ الرُّهْبَانِ وَالحُكَمَاءِ أَمْثَال قِس بن سَاعِدَةَ ، وَوَرَقَةَ بنِ نَوْفَلْ وَغَيْرِهِمَا ، وَأَنَّ النَّاسَ عَائِدُونَ لَا مَحَالَةَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ، وَسَتَكُونُ أَصْنَامُهُمْ آخِرَ الأَمْرِ صَاحِبَةَ الغَلَبَةِ ، وَإِنْ تَعْجَبْ ، فَعَجَبٌ مِنْ هَذَا

العَدَاءُ الشَّدِيدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ عَمِّهِ عَبْدِ العُزَّى وَزَوْجَتِهِ أُمِّ جَمِيلٍ .

وَعِنْدَمَا نَزَلَ الوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ زَوْجَتُهُ أُمُّ رُقَيَّة السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (رَضِىَ الله عنهُمَا) ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا عَمِلَتْهُ أَنْ نَادَتْ أَوْلَادَهَا وَمِنْهُمْ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ فَآمَنُوا جَمِيعاً (رَضِىَ الله عَنْهُنَّ) بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُول الله ﷺ ، وَظَلَّ إِيمَانُ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) سِرًّا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله ، وَهِىَ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا ، لَكِنَّ زَوْجَهَا عُتْبَة لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ وَالِدُ رُقَيَّة (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَى أَنْ تَأَزَّمَتِ الأُمُورُ ، وَظَهَرَ العَدَاءُ وَاضِحاً مِنْ عَبْدِ العُزَّى وَزَوْجَتِهِ أُمِّ جَمِيلٍ ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) أَنْ تَعِيشَ فِى بَيْتٍ يُظْهِرُ العَدَاءَ لِوَالِدِهَا وَوَالِدَتِهَا ، فَاضْطرَّتْ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا (١) .

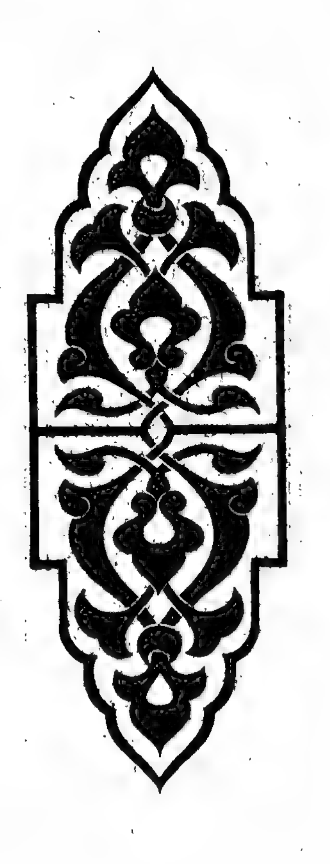




(١) عند الكلام على السيدة أم كلثوم (رضى الله عنها) سنتعرض بالتفصيل إن شاء الله إلى ما فعله عبد العزى وزوجته .

عُثْمَانُ يَتَقَدَّمُ لِخِطْبَةِ رُقَيَّةَ

(رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا)



كَانَتْ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) سَعِيدَةً بِأَنَّ الله خَلَّصَهَا مِنَ البَيْتِ الَّذِى أَظْهَرَ العَدَاءَ سَافِراً لِرَسُولِ الله ﷺ وَلَمْ تُغْنِ القَرَابَةُ شَيْئاً ، فَأَصْبَحَتِ الحَيَاةُ مُسْتَحِيلَةً بَيْنَ رُقَيَّة (رَضِىَ الله عنهَا) وَعُتْبَةَ ، فَطَلَّقَهَا عُتْبَةُ ، وَأَصْبَحَتْ حُرَّةً طَلِيقَةً ، وَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا .

كَانَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) مِنَ الَّذِينَ يَتَرَدَّدُونَ عَلَى بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَتَذَكَّرَ مَا قَالَتْهُ لَهُ خَالَتُهُ (سَعْدِيَّةُ بِنْتُ كُرَيْزٍ) ، وَأَنَّ مَا قَالَتْهُ سَوْفَ يَتَحَقَّقُ إِنْ شَاءَ الله ، وَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَيَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِهِ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَفِى جِلْسَةٍ مَعَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) أَرَادَ أَن يَعْرِفَ رَأْيَهُ ، فَقَالَ لأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : مَا رَأْيُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : فِيمَ يَا ابْنَ عَفَّان ؟

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) : هَلْ يُمْكِنُ أَن أَتَقَدَّمَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لأَخْطُبَ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ؟

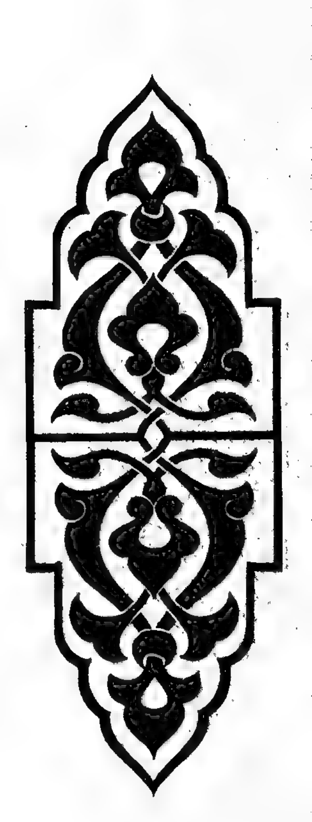
قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : لَا مَانِعَ يَمْنَعُ ذَلِكَ ، وَسَوْفَ يُسَرُّ المُسْلِمُونَ جَمِيعاً بِهَذَا .

وَتَقَدَّمُ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) إِلَى رَسُولِ الله ﷺ

فَرَحَّبَ بِهِ كَثِيراً ، وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ نَصْراً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَهُوَ مِنْ عِلْيَةِ القَوْمِ ، وَأَحَدُ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى الجَدِّ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ابنُ عَفَّانَ بن أَبِى العَاص ابنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْس الَّذِى يَلْتَقِى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جِهَـةِ الأَبِ عِنْدَ عَبْدِ مَنَافِ بن قُصَىّ ، وَمِن جِهَةِ الأُمِّ عِنْدَ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ ، لأَنَّ جَدَّةَ عُثْمَانَ لِأُمِّهِ هِىَ البَيْضَاءُ بِنْتُ حَكِيمِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ .

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : مَرْحَباً بِكَ يَا ابْن عَفَّانَ ، وَدَعَا لَهُ وَلِرُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهُمَا) بالْقَبُولِ وَبالبَرَكَة مِنَ اللهِ ـــ عَزَّ وَجَلَّ .

فَرِحَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) فَرَحاً عَظِيماً ، وَكَانَ لَهَا رَأْىٌ فِى زَوَاجِهَا الأَوَّلِ ، لَكِنَّهَا لَمْ تُظْهِرْهُ احْتَراماً لِزَوْجِهَا وَلأَبِى طَالِبٍ ، وَدَعَتْ لِابْنَتِهَا ولِعُثْمَانَ بالسَّعَادَةِ وَبالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَحَمِدَتِ الله عَلَى تَوْفِيقِهِ .



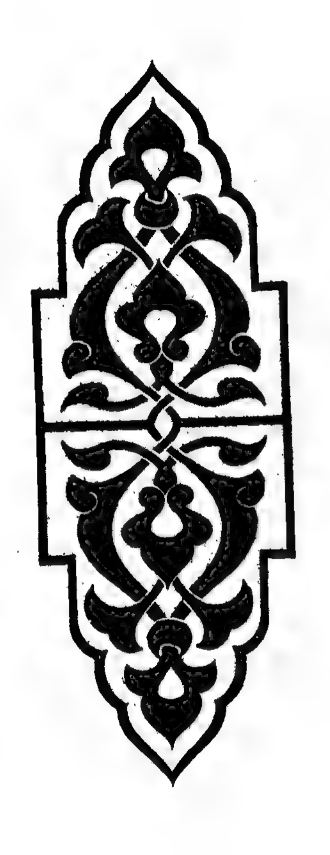
الـزَّوَاجُ السَّـعِيدُ

احْتَفَلَ جَمَاعَةُ المُسْلِمِينَ فِى مَكَّةَ بِهَذَا الزَّوَاجِ ، فَذُبِحَتِ الذَّبَائِحُ وَأَنْشَدَ الجَمِيعُ مَا تَرَدَّدَ عَلَى لِسَانِ الشَّاعِرِ مِن قَولِهِ :

أَحْسَـنُ زَوَاجٍ رَآهُ إِنْسَـان
رُقَيَّــةُ وَزَوْجُهَـا عُثْمَـان

عُثْمَانُ بنُ عفَّانَ وَالْمُشْرِكُونَ

كَانَتْ مَكَانَةُ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) وَمَنْزِلَتُهُ عَظِيمَةً فِى مَكَّةَ وَقُرَيْشٍ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ بَدَأَ الحِقْدُ عَلَيْهِ ، وَالْغِلُّ يَسْتَوْلِى عَلَى قُلُوبِ الكبَارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَزَادَ مِن ذَلِكَ حِينَمَا تَزَوَّجَ بِرُقَيّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَزَادَ ذَلِكَ مِنْ كَرَاهِيَةِ عَبْدِ العُزَّى وَأُمّ جَمِيلٍ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ فِى عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَلَمْ يَنَلْ مِنْهُ فَهُوَ مُبَارَكُ التِّجَارَةِ ، كَثِيرُ الأَمْوَالِ ، مَيْمُونُ الطَّلْعَةِ ، عَلَى كَثِيرٍ مِنَ السَّمَاحَةِ وَالْخُلُقِ الحَسَنِ ، تَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ كُلُّ الْمُجْتَمعَاتِ الْمُنْصِفَةِ فِى مَكَّةَ .



وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُمْنَعْ عَنْهُ إِيذَاءُ بَعْضِ الْمُتَشَدِّدِينَ وَالْمُتَعَصِّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَد أَصَابَهُ مَا أَصَابَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الأَوْثَانِ ، وَلَجأُوا إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمنِ ، وَاتَّبَعُوا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، بَلْ لَقَدْ زَادَ مِنْ ذَلِكَ زَوَاجُهُ بِبِنْتِ النَّبِىّ ﷺ .

بَدَأَتْ قُرَيْشٌ فِى إِيذَائِهِ بالكَلِمَةِ النَّابِيَةِ ، وَمُقَاطَعَةِ تِجَارَتِهِ ، وَمُخَاصَمَةِ قَبِيلَتِهِ لَهُ ، وَإِظْهَارِ البُغْضِ وَالكَرَاهِيَة ، وَضَمِّهِ إِلَى الَّذِينَ اتَّبَعُوا الدِّينَ الجَدِيدَ ، وَتَعَاوَنُوا مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مُقَاوَمَةِ مَظَاهِرِ الشِّرْكِ .

★ ★ ★

التَّفْكِيرُ فِى الهِجْرَةِ

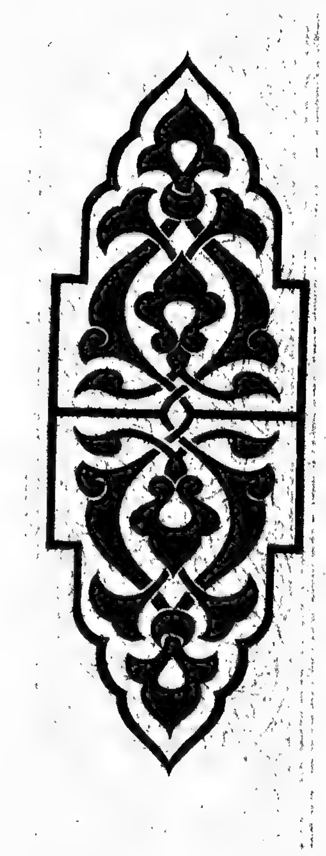
اجْتَمَعَت الفِئَةُ المُؤْمِنَةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَدْ كَثُرَ الإِيذَاءُ وَالحَبْسُ وَالضَّرْبُ لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ رَأْىُ البَعْضِ مُقَابَلَةَ الإِسَاءَةِ بِالإِسَاءَةِ وَالضَّرْبَ بالضَّرْبِ ، وَلَكِنَّ الأَغْلَبِيَّةَ رَأَتْ أَنَّ هَـذَا لَا يُفِيدُ مَا دَامَ الأَعْدَاءُ كَثِيرِينَ ، وَالمُسْلِمُونَ لَا يَزَالُونَ قِلَّةً .

وَانْتَظَرَ الجَمِيعُ مَا يُشِيرُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ : « إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَن يَمْنَعَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِالخرُوجِ إِلَى أَرْضِ الحَبَشة ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِىَ أَرْضُ صِدْقٍ ، حَتَّى يَجْعَلَ الله لَهُمْ فَرَجاً مِمَّا هُمْ فِيهِ »(١) .

كَانَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِىَ الله عنهُ) أَوَّلَ المُهَاجِرِينَ إِلَى الحَبَشَةِ ، وَلَمْ يُهَاجِرْ وَحْدَهُ ، بَلْ اصْطَحَبَ زَوْجَتَهُ السَّيِّدَة رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) مَعَهُ وَلَمْ يَمْضِ عَلَى زَوَاجِهِمَا إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا خِبْرَةٌ بالأَسْفَارِ ، وَلَمْ تَتْرُكْ مَكَّةَ يَوْماً وَاحِداً ، لَكِنَّهَا طَوْعُ زَوْجِهَا عُثْمَانَ ، فَهِىَ مَعَهُ أَيْنَمَا حَلَّ أَوْ سَافَرَ .

لَمْ يُمَانِعْ أَحَدٌ فِى سَفَرِهَا حَتَّى أُمُّهَا خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) الَّتِى لَمْ تُفَارِقْهَا وَكَانَتْ مَعَهَا أَوْ قَرِيبَةً مِنْهَا .

لَقَدْ مَلأَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) قَلْبَهَا بِالأَمْنِ



---

(١) راجع : البداية والنهاية (٣/٦٦ - ٦٩) .

وَالأَمَانِ ، فَرَاحَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَتَرَى فِيهِ كُلَّ مَا تَرْجُوهُ مِن دُنْيَاهَا ، فَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهَا ، وَبِهَذَا هَانَ فِرَاقُ أُمِّهَا وَوَالِدِهَا وَأَخَوَاتِهَا زَيْنَبَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ وَفَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ) .

نَظَرَتْ إِلَى زَوْجِهَا ، وَقَد أَطَلَّ عَلَيْهَا فِي هَوْدَجِهَا ، فَابْتَسَمَتْ لَهُ ابْتِسَامَةَ الرِّضَا وَالمُوَافَقَةِ .

فَقَالَ لَهَا عُثْمَانُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : هَلْ أَنْتِ رَاضِيَةٌ عَن تَرْكِكِ الأَهْلَ وَالبِلَادَ ، وَسَفَرِكِ الطَّوِيلِ ، وَرُكُوبِكِ البَحْرِ ، وَإِقَامَتِكِ فِي أَرْضِ الحَبَشَةِ ؟

قَالَتْ رُقَيَّةُ (رَضِي اللهُ عنهَا) : مَا دُمْتُ أَنَا مَعَكَ يَهُونُ كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ .

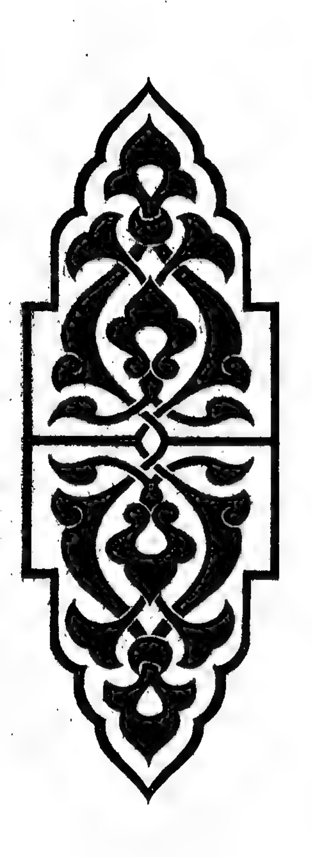
قَالَ عُثْمَانُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : هَلْ يَشْغَلُ فِكْرَكِ شَيْءٌ يَا رُقَيَّةُ ؟

قَالَتْ رُقَيَّةُ (رَضِي اللهُ عنهَا) : أَبَداً لَا يَشْغَلُنِي عَنْكَ شَيْءٌ .

قَالَ عُثْمَانُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : أُرِيدُ أَن أَطْمَئِنَّ عَلَيْكِ ، وَأَن تَكُونِي سَعِيدَةً بِهِجْرَتِكِ هَذِهِ إِلَى اللهِ حَتَّى تَنَالِي رِضَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَتْ رُقَيَّةُ (رَضِي اللهُ عنهَا) : نَعَمْ يَا عُثْمَانُ إِنَّنِي رَاضِيَةٌ وَسَعِيدَةٌ مَعَكَ ، واللهُ مَعَنَا وَإِنَّهُ لَن يَنْسَانَا .

عَلَى بَرَكَةِ اللهِ تَجَمَّعَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَقَد بَلَغَ عَدَدُهُمْ اثْنَى عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ ،



فِيهِمْ من بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ آلِ عُثْمَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ ابنُ عُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ .

وَمِن بَنِى أَسَدِ بن عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ أَخْوَالُ رُقَيَّةَ (رَضِى الله عنهَا) الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بن خُوَيْلِدٍ ...

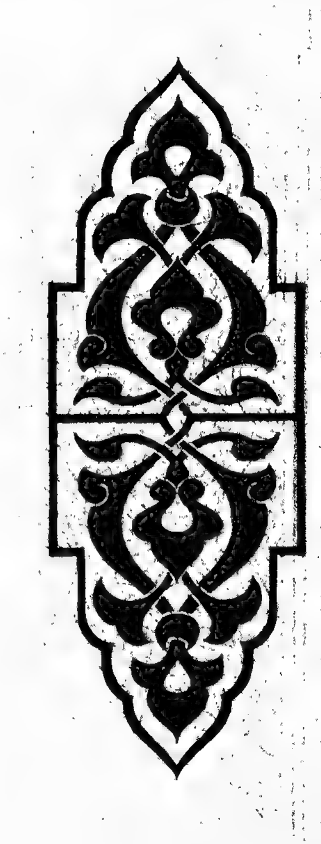
وَمِن بَنِى عَبْدِ الدَّارِ بنِ قُصَىٍّ أَبْنَاءُ عَمِّ عُثْمَانَ وَرُقَيَّةَ : مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر بن هاشِمِ بن عَبْدِ مَنَافِ ابن عَبْدِ الدَّارِ ...

وَمِن بَنِى زَهْرَةَ أَخْوَالُ النَّبِىّ ﷺ عَبْدُ الرَّحْمنِ ابن عَوْفٍ الزُّهرِىّ ...

وَمِن بَنِى مَخْزُومٍ عَبْدُ اللهِ بن عَبْدِ الأَسَدِ ابنُ عَمَّةِ النَّبِىّ ﷺ .

كَلِمَةُ اللّهِ هِىَ العُلْيَا

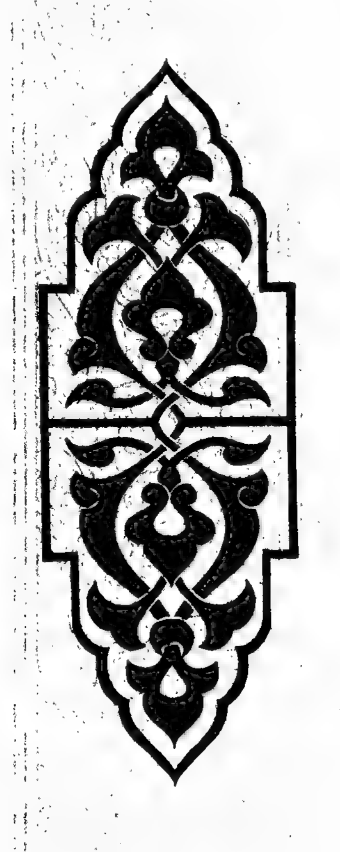
تَجمَّعَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ فِى المَكَانِ الَّذِى عَرَّفُوهُ لِبَعْضِهِمْ فِى السَّاعَةِ الَّتِى حَدَّدُوهَا ، حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَ عَدَدُهُمْ ، قَامُوا جَمِيعاً ، فَصَلُّوا رَكْعَتَيْنِ يَؤُمُّهُمْ عُثْمَانُ ابنُ مَظْعُونٍ الجُمَحِىُّ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِن صَلَاتِهِمْ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ بالدَّعَوَاتِ أَن يَحْفَظَهُمْ وَهُمْ فِى طَرِيقِهِمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَقَرِّهِمْ سَالِمِينَ ، وَأَن يَحْمِىَ رَسُولَهُ ﷺ مِن كَيْدِ المُعَانِدِينَ الطُّغَاةِ ، وَأَن يَنْصُرَ دِينَهُ ، وَيَرُدَّهُمْ مُعَافِينَ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَقَدْ تَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَصَارَتْ هِىَ العُلْيَا .



الـمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ مَنْعَ الـمُهَاجِرِينَ

تَابَعَ المُهَاجِرُونَ سَيْرَهُمْ جَنُوباً ، مُتَّجِهِينَ إِلَى البَحْرِ الأَحْمَرِ لِيَعْبُرُوهُ إِلَى إِفْرِيقية وَإِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ .

عَلِمَتْ مَكَّةُ بِرِحْلَةِ رُقَيَّةَ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ وَزَوْجِهَا عُثْمَانَ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) وَمَعَهُمَا جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَرْسَلُوا جَمَاعَةً مِنَ المُشْرِكِينَ كَيْ يَرُدُّوهُمْ بالقُوَّةِ إِلَى دِيَارِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ حِينَمَا وَصَلُوا إِلَى الشَّاطِئِ ، رَأَوْا بِأَعْينهم السَّفِينَةَ وَقَدْ بَعُدَتْ عَنِ الشَّاطِئِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي أَن يَرْجِعُوا ، وَمَعَهُمُ المُهَاجِرُونَ ، فَأَصَابَهُمْ غَمٌّ وَحُزْنٌ عَمِيقٌ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ خَائِبِينَ .



الرِّحـلَاتُ تَـتَـابَعُ

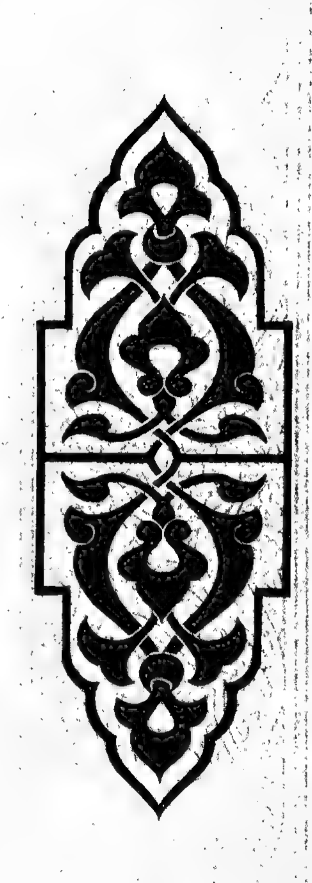
تَتَابَعَتْ رِحلَاتُ المُسْلِمِينَ مِن مَكَّةَ إِلَى الحَبَشَةِ حَتَّى وَصَلَ عَدَدُهُمْ إِلَى أَكْثَرَ مِن ثَمَانِينَ ، رِجَالًا وَنِسَاءً ، وَكَانَتْ رُقَيَّةُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) فَرِحَةً مَسْرُورَةً كُلَّمَا رَأَتْهُمْ فَاسْتَرَاحَتْ نَفْساً وَطَابَتْ خَاطِراً ، وَهِيَ مَعَ زَوْجِهَا عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، وَلَكِن كُفَّارَ مَكَّةَ ثَائِرُونَ عَلَى المُهَاجِرِينَ ، فَلَمْ يَهْدَأْ لَهُمْ بَالٌ ، وَفَكَّرُوا فِي طَرِيقَةٍ يَطْرُدُونَ بِهَا هَؤُلَاءِ مِنَ الحَبَشَةِ ، يُرْجِعُونَهُمْ إِلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَن يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ نَفَراً مِنْهُمْ لِيُخرِجُوهُمْ مِن بِلَادِهِ ، وَيَرُدَّهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ .

وَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ عَلَى عَمْرو بنِ العَاصِ ، وَعَبْدِ اللهِ ابنِ أَبِى رَبِيعَةَ ، ثُمَّ جَمَعُوا للنَّجَاشِيِّ وَلِلْبَطَارِقَةِ هَدَايَا ثَمِينَةً وَقَالُوا لِمَنْ أَرْسَلُوهُمَا : ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَن تَتَكَلَّمُوا فِيمَنْ هَاجَرُوا ، ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ هَدِيَّتَهُ .

الهَدَايَا للنَّجَاشِيِّ وَالبَطَارِقَةِ

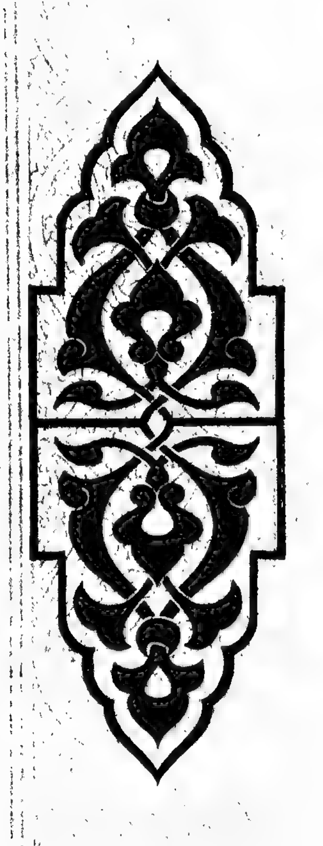
فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى البَطَارِقَةِ ، قَدَّمُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ هَدِيَّتَهُ ، ثُمَّ تَكَلَّمُوا مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو بنُ العَاصِ نَائِباً عَن زَمِيلِهِ ابنِ أَبِى رَبِيعَةَ : (إِنَّمَا قَدِمْنَا عَلَى هَذَا المَلِكِ فِى سُفَهَائِنَا ، فَارَقُوا أَقْوَامَهُمْ فِى دِينِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِى دِينِكُمْ ، فَبَعَثَنَا قَوْمُهُمْ لِيَرُدَّهُمُ المَلِكُ عَلَيْهِمْ فَإِذَا دَخَلْنَا عَلَى المَلِكِ ، وَأَنْتُم مَعَهُ ، فَسَاعِدُونَا عَلَى أَن يُوَافِقَ المَلِكُ عَلَى طَرْدِهِمْ مِن بِلَادِهِ ، وَرَدِّهِمْ إِلَى أَهْلِهِمْ وَذَوِيهِمْ .

وَاتَّفَقَ عَمْرٌو وَابنُ أَبِى رَبِيعَةَ مَعَ البَطَارِقَةِ عَلَى وَقْتٍ يَدْخُلَانِ عَلَيْهِ وَهُمْ مَوْجُودُونَ مَعَهُ ، وَقَد كَانَ لَهُمَا مَا أَرَادَا ... فَقَدَّمَ عَمْرُو بنُ العَاصِ هَدَايَاهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا المَلِكُ ! إِنَّ فِتْيَةً مِنَّا سُفَهَاءَ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِى دِينِكَ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ ، وَقَدْ لَجَأُوا إِلَى بِلَادِكَ ، وَقَد بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ عَشَائِرُهُمْ ، وَآبَاؤُهُمْ وَأَعْمَامُهُمْ وَقَوْمُهُمْ لِتَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّهُمْ لَن



يَدْخُلوا فِي دِينِك ، فَتَمْنَعُهُم لِذَلِكَ .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : لَعَمْرُ اللهِ ! لَا أَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأُكَلِّمُهُم ، وَأَنْظُرُ مَا أَمْرُهُم ، قَوْمٌ لَجَأُوا إِلَى بِلَادِي ، وَاخْتَارُوا جِوَارِي ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا تَقُولُونَ رَدَدْتُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُم ، وَلَمْ أَدْخُل بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِيهم وَعَشِيرَتِهِمْ .



جَاءَ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمُوا ، وَدَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ ، وَسَلَّمُوا ، وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ غَيْرُهُمْ .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : أَخْبِرُونِي مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام ، وَمَا دِينُكُمْ ؟ أَنَصَارَى أَنْتُم ؟

قَالُوا : لَا ، لَسْنَا نَصَارَى .

قَال : أَفَيَهُودٌ أَنْتُم ؟

قَالُوا : لَا ، لَسْنَا يَهُوداً .

قَال : فَعَلَى دِينِ قَوْمِكُمْ ؟

قَالُوا : لَا ، لَسْنَا عَلَى دِينِ قَوْمِنَا ، إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الأَحْجَارَ وَالأَصْنَامَ فَهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللهِ .

قَال : فَمَا دِينُكُمْ ؟

قَالُوا : الإِسْلَامُ .

قَالَ النَّجَاشِيُّ : وَمَا الإِسْلَامُ ؟

قَالُوا : نَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً .

قَال : مَن جَاءَكُمْ بِهَذَا ؟

قَالُوا : جَاءَنَا بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِنَا ، قَدْ عَرَفْنَا وَجْهَهُ وَنَسَبَهُ ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَيْنَا كَمَا بَعَثَ الرُّسُلَ إِلَى مَن قَبْلَنَا ، فَأَمَرَنَا بِالبِرِّ وَالصَّدَقَةِ والوَفَاءِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الأَوْثَانَ ، وَأَمَرَنَا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَصَدَّقْنَاهُ ، وَعَرَفْنَا كَلَامَ اللهِ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الَّذِى جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ .

فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ عَادَانَا قَوْمُنَا ، وَعَادَوْا النَّبِيَّ ﷺ الصَّادِقَ ، وَكَذَّبُوهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، وَأَجْبَرُونَا عَلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، فَفَرَرْنَا إِلَيْكَ بِدِينِنَا وَدِمَائِنَا مِن قَوْمِنَا .

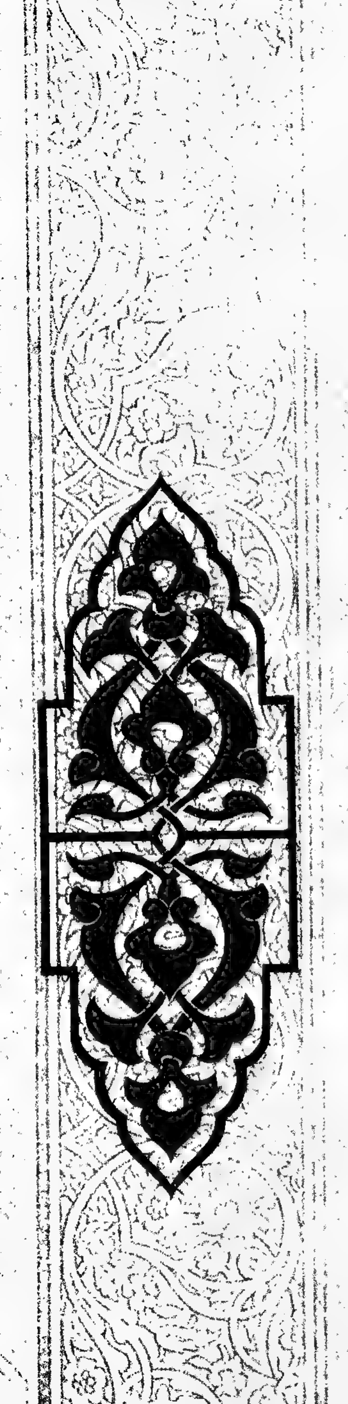
قَالَ : واللهِ إِنَّ هَذَا لَمِنَ المِشْكَاةِ الَّتِى خَرَجَ مِنْهَا أَمْرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام .

قَالَ جَعْفَرُ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) نِيَابَةً عَنْ إِخْوَانِهِ : وَأَمَّا عِيسَى ابنُ مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَام فَعَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَرُوحٌ مِنْهُ .

فَأَخَذَ النَّجَاشِيُّ عُوداً وَقَالَ : وَاللهِ مَا زَادَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ عَلَى هَذَا وَزْنَ هَذَا العُودَ ، اذْهَبُوا ، وَسِيحُوا فِى أَرْضِنَا كَمَا تَشَاءُونَ وَاعْبُدُوا اللهَ كَمَا تُرِيدُونَ ، فَوَاللهِ لَا أُسَلِّمُكُم إِلَيْهِمْ أَبَداً .

★ ★ ★





نَصْـرٌ وَفَـرَح

فَرِحَ المُسْلِمُونَ بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّجَاشِيُّ مِنَ الإبْقَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِهِمْ أَحْرَاراً ، فَقَدْ وَجَدُوا الأَمْنَ وَالأَمَانَ ، وَحُرِّيَّة العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ ، وَشَعَرُوا بالطُّمَأْنِينَة ، فَرَاحَ شُعَرَاؤُهُم يُنْشِدُونَ الأَشْعَارَ ، وَيُرَدِّدُونَهَا في فَرَحٍ وَحُبُورٍ ، حَتَّى انْتَقَلَتْ مِنْ أَرْضِ الحَبَشَة إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ ، وَكَانَ ممَّا وَصَلَ إِلَى الأَسْمَاعِ فى مُجْتَمَعِ قُرَيْشٍ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بنِ الحَارِثِ بن سَهْمٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) فى قَصِيدَتِهِ الَّتِى يَقُولُ فِيهَا :

يَا رَاكِباً بَلِّغَنْ عَنِّى مُغَلْغَلَةً [1]
مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاغَ اللهِ وَالدِّينِ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ مُضْطَهَدٌ
بِبطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٌ ومَفْتُون
أَنَّا وَجَدْنَا بِلَادَ اللهِ وَاسِعَةً
تُنْجِى مِنَ الذُّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالهُون
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الحَيَاةِ وَخِزْ
يِ فِى المَمَاتِ وَعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُون
أَنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللهِ وَاطَّرَحُوا
قَوْلَ النَّبِىِّ وَغَالُوا فِى المَوَازِينِ

وَكَانَ هَذَا مِمَّا حَثَّ المُسْلِمِينَ عَلَى الهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ زُمَراً زُمَراً .

---

(١) المُغَلْغَلَةُ : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد .

أَبُو طَالِبٍ يَحِنُّ إِلَى ابْنِـهِ جَعْفَر

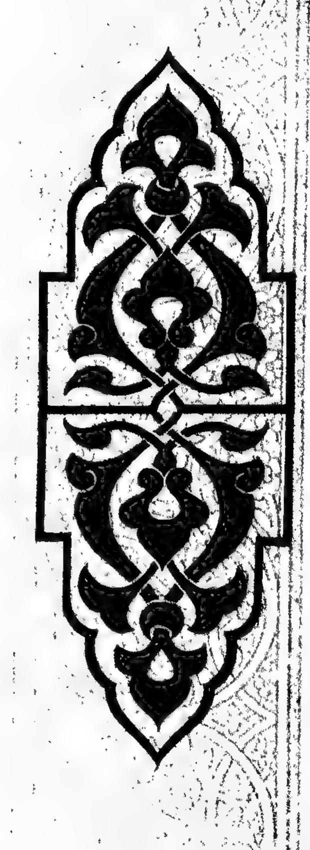
كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يُشْفِقُونَ عَلَى أَقَارِبِهِمْ الَّذِينَ تَرَكُوا دِيَارَهِمْ وَهَاجَرُوا إِلَى الحَبَشَةِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو طَالِبٍ ، عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ يَحِنُّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَر الَّذِى تَرَكَ مَكَّةَ وَهَاجَرَ مَعَ المُهَاجِرِينَ ، فَأَنْشَدَ شِعْراً يَسْتَثِيرُ فِيهِ كَرَمَ النَّجَاشِيِّ وَيَحُضُّهُ عَلَى أَن يَحْمِى جِوَارَهُ فَيَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ فِى النَّأْيِ جَعْفَرُ
وَعَمْرٌو وَأَعْدَاءُ العَدُوِّ الأَقَارِبُ ؟
وَهَلْ نَالَتْ أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَراً
وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ ؟
تَعْلَمُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ مَاجِدٌ
كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى لَدَيْكَ المُجَانِبُ
وَأَنَّكَ فَيْضٌ ذُو سِجَالٍ غَزِيرَةٍ
يَنَالُ الأَعَادِى نَفْعُهَا وَالأَقَارِبُ

★ ★ ★

حَنِيـنُ الرُّؤْيَـا

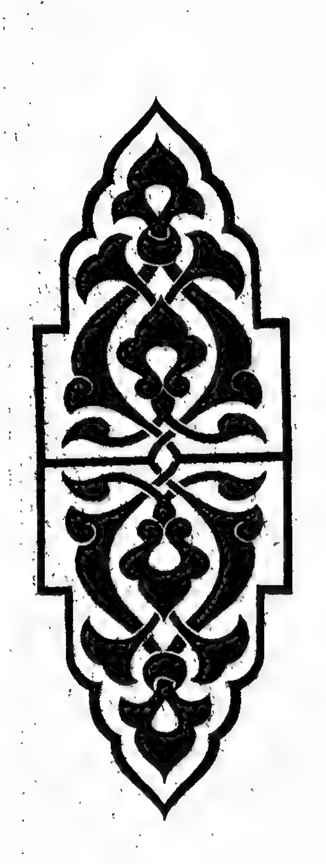
كَانَتْ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) تَحِنُّ دَائِماً إِلَى رُؤْيَةِ وَالِدِهَا ﷺ وَأُمِّهَا وَأَخَوَاتِهَا (رَضِىَ الله عَنْهُنَّ) ، وَرُبَّمَا أَثَّرَ هَذَا عَلَى صِحَّتِهَا ، فَقَد تَحَمَّلَتْ قَسْوَةَ الحَيَاةِ حَتَّى أَسْقَطَتْ جَنِينَهَا الأَوَّلَ ، وَأَصَابَهَا ضَعْفٌ وَإِعْيَاءٌ .



لَكِنَّهَا وَجَدَتْ مِنْ حُبِّ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) لَهَا وَرِعَايَتِهِ سَعَادَةً وَقُدْرَةً عَلَى مُتَابَعَةِ الحَيَاةِ ، وَالقِيَامِ بِوَاجِبِهَا نَحْوَ اللهِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ تَتَتَبَّعُ الأَخْبَارَ من مَكَّةَ فَعَلِمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ دَائِماً عَنهَا ، يُرِيدُ أَن يَطْمَئِنَّ عَلَيْهَا وَعَلَى المُهَاجِرِينَ ، مُتَتَبِّعاً أَحْوَالَهُمْ وَمَعِيشَتَهُمْ .

سَأَلَ امْرَأَةً رَجَعَتْ مِنَ الحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا رَأَتْ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَقَدْ رَكِبَتْ حِمَاراً وَكَانَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) يَسِيرُ بِجِوَارِهَا ، فَهَدَأَتْ نَفْسُه قليلًا ، وَدَعَا لَهَا وَلِلْمُهَاجِرِينَ بالنَّصْرِ وَالفَوْزِ وَالهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ .



أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ) يُفَكِّر فِى الهِجْرَة

كَانَ المُهَاجِرُونَ يَحِنُّونَ دَائِماً إِلَى مَكَّةَ ، وَإِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا ، وَكَانَت الأَخْبَارُ تَأْتِيهِمْ أَحْيَاناً بِقَسْوَةِ المُشْرِكينَ عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) يُفَكِّرُ فِى الهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ ، وَخَرَجَ فِعْلًا مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ (بَرْك الغَمَادِ) لَقِيهُ ابنُ الدُّغُنَّةِ وَهُوَ سَيِّدٌ مِن سَادَاتِ مَكَّةَ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : (رَضِىَ الله عنهُ) : أَخْرَجَنِى قَوْمِى فَأُرِيدُ أَن أَسِيحَ فِى الأَرْضِ فَأَعْبُدُ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَال ابنُ الدُّغُنَّة : فَإنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخرُجُ وَلَا يُخْرَجُ ، إِنَّكَ تُكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتُقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ، فَارْجِعْ وَاعْبُد رَبَّكَ بِبَلَدِكَ .

فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَطَافَ ابنُ الدُّغُنَّةِ فِى أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَقَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلُهُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ ، وَيُقْرِى الضَّيْفَ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ؟

فَقَالُوا لابْنِ الدُّغُنَّة : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُد رَبَّهُ فِى دَارِهِ وَلْيُصَلِّ فِيهَا ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَن يَفْتِن نسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، قَالَ ذَلِكَ ابنُ الدُّغُنَّة لأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) .

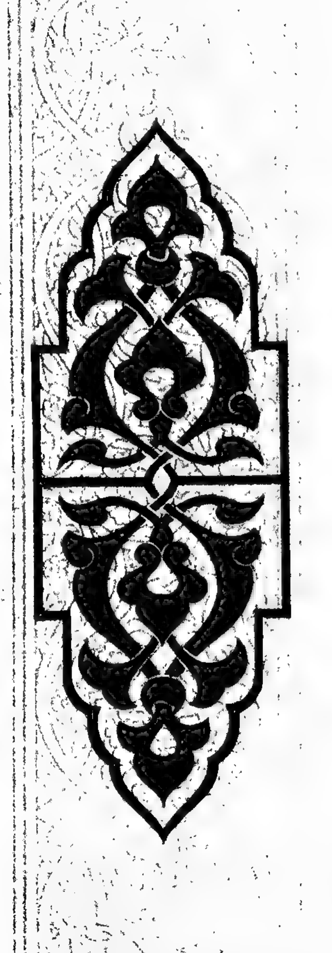
أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ) يَعْبُدُ اللَّهَ فى دَارِهِ

لَبِثَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِى الله عنهُ) كَذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فى دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فى غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَا لأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) أَنْ يَبْنِىَ مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَكَانَ يُصَلِّى فِيهِ ، فَيُنْصِتُ إِلَيْهِ نسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُم يَعْجَبُونَ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

فَشَكَا المُشْرِكُونَ لابْنِ الدُّغُنَّة ، وَفى مُنَاقَشَةٍ لَهُ

أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) من جَرَّاءِ ذَلكَ غَضِبَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَيْسَ فِى حَاجَةٍ إِلَى حِمَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ يَنْوِى أَن يُهَاجِرَ إِلَى الحَبَشَة .

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَنَعَهُ مِن ذَلكَ ، وَكَانَ هَذَا دَلِيلاً عَلَى أَنَّ المُشْرِكِينَ مَا يَزَالُونَ عَلَى عَدَائِهِم لِلْمُسْلِمِينَ .



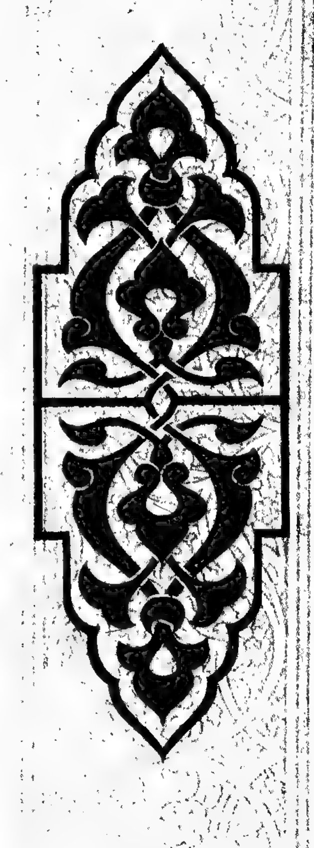
حَنِيـنٌ إِلَى الوَطَن

كَانَتْ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) تَعِيشُ عَلَى أَمَلِ الرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ ، فَرَاحُوا يَتَلَمَّسُونَ الأَخْبَارَ الَّتِى يَجِدُونَ فِيهَا أَمَلًا يُحَقِّقُ الرَّغْبَةَ فى هُدُوءِ الحَالَة لَعَلَّ أَهْل مَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ يَثُوبُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَيَعُودُ إِلَيهِمْ تَفْكِيرُهُم البَعِيدُ عَنِ التَّعَصُّبِ ، فَيَدْرُسُونَ رَسَالَةَ الإِسْلَامِ دِرَاسَةً وَاعِيَةً تَجْعَلُ المُهَاجِرِينَ يُفَكِّرُونَ فِى العَوْدَةِ إِلَى وَطَنِهِمْ .

كَثُرَت الإِشَاعَاتُ ، وَأَصْغَى المُسْلِمُونَ المُهَاجِرُونَ إِلَيهَا ، وَوَصَلَ إِلَى عِلْمِهِمْ أَنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَة وَأَبَا أُحَيْحَةَ أَسْلَمَا ، وَسَجَدَا خَلْفَ النَّبِىِّ ﷺ وَهُمَا مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَانِ قَدْ أَسْلَمَا فَمَنْ بَقِىَ مِن كِبَارِ المُشْرِكِينَ ؟ وَغَلَبَ عَلَيهِمْ الحَنِينُ إِلَى الوَطَنِ وَشَجَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، فَتَهَيَّؤُوا للرَّحِيلِ ، رَائِدُهُمْ الشَّوْقُ إِلَى العَوْدَةِ إِلَى مَسْقَطِ رُءُوسِهِمْ ، وَقَالُوا : عَشَائِرُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا .

عَلَى حِين آثَرَ قَوْمٌ آخَرُونَ أَن يَظَلُّوا مَكَانَهُم فِى الحَبَشَةِ حَتَّى تَتَّضِحَ الأُمُورُ جَالِيةً وَاضِحَةً .

كَانَ مِمَّن قَرَّرُوا الرُّجُوعَ إِلَى مَكَّةَ جَمْعٌ بَلَغَ عَدَدُهُم ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا يَتَقَدَّمُهُم عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، وَزَوْجُهُ السَّيِّدَةُ رُقَيَّة ، وَابْنُهُمَا الرَّضِيعُ عَبْدُ اللهِ ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ابنُ أُخْتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ جَحْش ابنُ عَمَّةَ النَّبىِّ ﷺ ، وأَبُو سَلَمَةَ بن عَبْد الأَسْوَدِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمّ سَلَمَةَ هِنْدُ بنتُ أَبِى أُمَيَّةَ ، وَالسَّكْرَانُ بنُ عَمْرِو ، وَآخَرُونَ (رَضِىَ الله عنهُم أَجمعين) .



عَوْدَةُ رُقَيَّةَ وَعُثْمَانَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) إِلَى الحَبَشَة

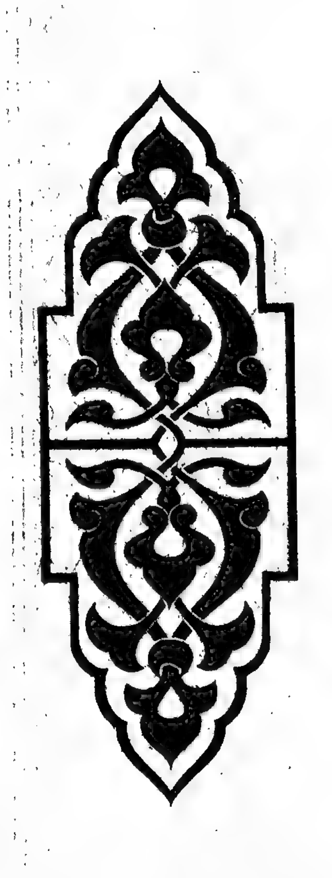
وَصَلَتْ رُقَيَّةُ مَعَ زَوْجِهَا عُثْمَانَ بن عَفَّانَ (رَضِىَ الله عنهما) إِلَى الحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَكَانَتْ سَعِيدَةً بِرُجُوعِهَا مَعَ زَوْجِهَا ، وَالتَقَتْ بالمُسْلِمِينَ البَاقِينَ فِى الحَبَشَةِ ، وَكَانُوا جَمِيعاً سُعَدَاءَ ، فَهُمْ يَعْبُدُونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ لَا يُسَيْطِرُ عَلَيهِمْ أَحَدٌ ، وَلَيْس هُنَاكَ مَن يَتَدَخَّلُ فِى عِبَادَتِهِمْ ، أَوْ يَمْنَعُهُمْ أَوْ يَحْجُرُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يُؤْذِهِمْ إِنْسَانٌ ، وَلَمْ يُعَكِّرْ صَفْوَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا مِنَ النَّجَاشِيِّ إِلَّا كُلَّ خَيْرٍ .



أَخْبَــارٌ مِنْ مَكَّةَ

كَانَتْ رُقَيَّةُ (رَضِيَ الله عنهَا) كَبَاقِي المُسْلِمِينَ تَتَتَبَّعُ أَخْبَارَ أَبِيهَا وَأُمِّهَا وَأَخَوَاتِهَا وَالمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَنَقَلَ إِلَيهَا مَنْ أَتَى مِن مَكَّةَ أَنَّ وَالدَتَهَا السَّيِّدَة خَدِيجَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) قَد لاَقَتْ رَبَّهَا ، وَأَنَّ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ قد تُوُفِّيَ ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) وَأَبُو طَالِبٍ سَنَداً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَنَّ الكُفَّارَ وَالمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنهُمَا ، فَلَا يَنَالُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بالأَذَى ، وَلَكِنَّهُمْ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) وَأَبِي طَالِبٍ اشْتَدَّ أَذَاهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَللرَّسُول ﷺ ، حَتَّى لَقَد حَاوَلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الطَّائِفِ لَعَلَّهُ يَلْقَى أَحَداً يُؤْمِنُ بِهِ ، فَلَمْ يُقَابَلْ إِلَّا بالسُّخْرِيَةِ والاسْتِهْزَاءِ وَالإِنْكَار .

حِينَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ لَمْ يَلْقَ مِن مُشْرِكِي مَكَّةَ إِلَّا الأَذَى ، وَتَعْذِيبَ مَن بَقِيَ فِي مَكَّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ مَكَّةَ وَسَادَتُهَا يُفَكِّرُونَ فِي خُطَّةٍ يَتَخَلَّصُونَ بِهَا مِن صَاحِبِ الدَّعْوَة وَهَدَاهُمُ التَّفْكِيرُ إِلَى أَن يَخْتَارُوا مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى جَلْداً قَوِيًّا ، ثُمَّ يُكَلِّفُونَهُمْ بِأَن يَضْرِبُوا الرَّسُولَ ﷺ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَيَمُوتُ ، وَبِهَذَا يَكُونُونَ قَد تَخَلَّصُوا مِنْهُ إِلَى الأَبَد وَقَد حَصَلَ ذَلِكَ التَّجَمُّع ، فَقَد اخْتَارُوا مَن سَيَقُومُونَ بِذَلِكَ ، وَاجْتَمَعُوا لَيْلًا ، لِيَتَسَلَّقُوا عَلَيْهِ ﷺ جُدْرَانَ



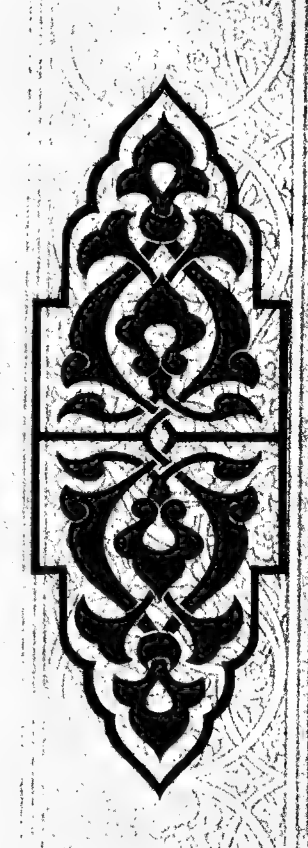
البَيْت ، وَقَد نَامَ فِى مَكَانِهِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَقَامَ مِن نَوْمِهِ ليَخْرُجَ مِن بَابِ البَيْت قَابَلُوهُ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ .

إِنَّهُمْ يُقَدِّرُونَ ... وَرَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ يُقَدِّرُ ... فَلَقَد وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ ابنَ عَمِّهِ عَلِىَّ ابنَ أَبِى طَالِبٍ (كَرَّمَ الله وَجهَهُ) بأَن يَخْدَعَ القَوْمَ ، فَيَنَامُ مَكَانَهُ حَتَّى يَرَاهُ القَوْمُ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَهُ فى الصَّبَاح ليُنَفِّذُوا خِطَّتَهُمْ وَيَنْتَهِى الأَمْرُ ، وَلَكِنَّ مُحَمَّداً ﷺ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ وَقَد أَعْمَى الله أَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَرَوْهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيق (رَضِىَ الله عنهُ) ليَكُونَ رَفِيقَهُ فِى الهِجْرَة ، وَتَمَّت الهِجْرَةُ ، وَوَصَلَا سَالمَيْنِ إِلَى يَثْرِب (المَدِينَة) وَقَابَلَهُ أَهْلُهَا بالْبِشْرِ وَالتِّرْحَاب .

عَلِمَت السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ (رَضِىَ الله عنهَا) وَهِىَ فِى الحَبَشَةِ بِهجْرَةِ الرَّسُول ﷺ إِلَى المَدِينَة ، فَأَشَارَتْ عَلَى زَوْجِهَا عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) بِأَنْ يَرْجِعَا إِلَى مَكَّةَ .

رَجعَتْ رُقَيَّةُ مَعَ زَوْجهَا عثمَانَ (رَضِىَ الله عنهُمَا) إِلَى مَكَّةَ ، وَإِذَا بِكُلِّ شَىْءٍ قَدْ تَغَيَّرَ فيهَا ، فَالمُشْرِكُونَ فِى هَمٍّ وَغَمٍّ لنَجَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ من بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَقَد قَطَعَ عَلَيهِمْ كُلَّ طَرِيقٍ يَبْتَغُونَ مِنْهُ الوُصُولَ إِلَيْهِ ، وَهُمْ فِى حَيْرَةٍ وَشَتَاتٍ .

انْطَلَقَتْ رُقَيَّة (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا ، وَقَد خَلَا مِنْهُمَا ، فَالأُمّ قَد لَاقَتْ رَبَّهَا ، وَالأَبُ



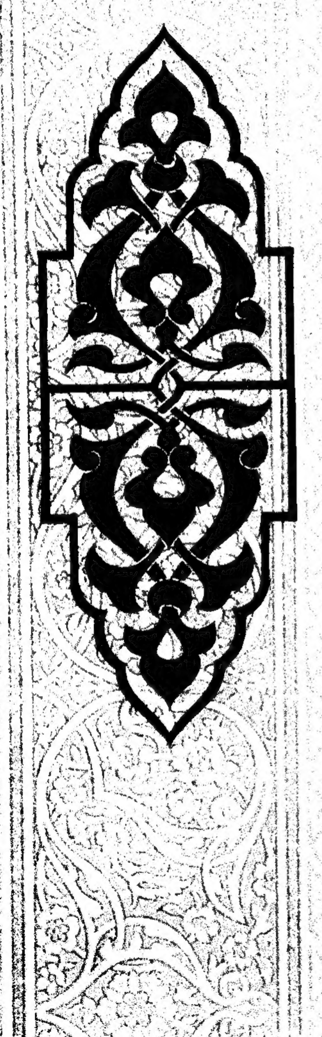
هَاجَرَ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أُمّ كُلْثُومٍ ، وَفَاطِمَةُ ، وَأُمّ أَيْمَنَ ، وَسَوْدَةُ (رَضِيَ الله عنهُنَّ) ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُنّ الأَبُ ﷺ أَنْ يَتَهَيَّأْنَ لِلْهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَة ، وَسَوْفَ يُرْسِلُ مَنْ يَأْتِى بِهِنَّ .

كَانَتْ زَيْنَبُ أُخْتُهَا تَتَرَدَّدُ عَلَى البَيْتِ فَتَجْلسُ مَعَ رُقَيَّةَ ، وَأُمّ كُلْثُومٍ ، وَفَاطِمَةَ (رَضِيَ الله عنهُنَّ) وَمَن مَعَهُنَّ ، فَتَلْتَقِى بِهِنَّ وَيُرَاجِعْنَ الذِّكْرَيَاتِ ــ ذِكْرَيَاتِ الأَبِ العَظِيمِ وَالأُمِّ الرءُوم بتَارِيخِهِمَا وَجِهَادِهِمَا ــ فَيَبْكِى الجَمِيعُ مَا شَاءَ لَهُمُ البُكَاءُ ، ثُمَّ تَعُودُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مَخْدَعِهَا يَنْتَظِرْنَ قَضَاءَ اللهِ وَأَمْرَهُ .

الهِجْرَةُ إِلَى المَدِينَة

المُسْلِمُونَ يَتَّجِهُونَ إِلَى المَدِينَةِ سَوَاءٌ مِنْهُم مَن كَانَ مُهَاجِراً إِلَى الحَبَشَةِ أَمْ كَانَ مُقِيماً فِى مَكَّةَ .

فَكَّرَتْ رُقَيَّةُ وَزَوْجُهَا عُثْمَانُ (رَضِيَ الله عنهُما) فِى الهِجْرَة إِلَى المَدِينَة ، فَزَارَ عُثْمَانُ أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ وَبَقِيَتْ رُقَيَّةُ مَعَ أُخْتَيْهَا وَقْتاً مِنَ الزَّمَن ، ثُمَّ اسْتَعَدَّا لِلْهِجْرَةِ ، وَوَفَّقَهُمَا اللهُ فَسَارَا فِى طَرِيقِهِمَا وَلَمْ يَجِدَا صُعُوبَةً ، وَلَمْ يُؤْذِهِمَا أَحَدٌ وَظَلَّا يَقْطَعَانِ الطَّرِيقَ الطَّوِيلَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ حَتَّى وَصَلَا سَالِمَيْنِ إِلَى المَدِينَةِ ، وَهُنَاكَ الْتَقَتْ رُقَيَّةُ وَزَوْجُهَا (رَضِيَ الله عنهُما) بِالنَّبِىِّ ﷺ ، وَبِالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى المَدِينَةِ مِنَ الحَبَشَةِ وَمِن مَكَّة .



رُقَيَّةُ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنْهَـا)
فِـى الـمَدِينَـة

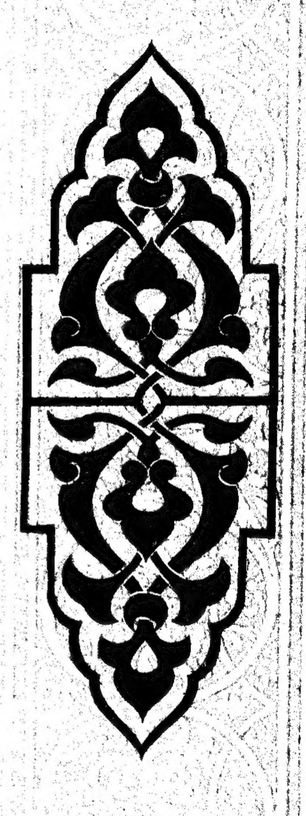
اسْتَقَرَّ حَالُ رُقَيَّةَ وَزَوْجِهَا عُثْمَانَ وَابْنهِمَا عَبْد اللهِ (رَضِىَ الله عنهُم) ، وَكَانَ قَد وُلِدَ فِى الحَبَشَة ، وَقَدْ أَعْطَتْهُ أُمُّهُ كُلَّ حُبِّهَا وَأَمَلِهَا إِلَّا أَنَّ الحَيَاةَ لَمْ تَمْتَدَّ بِهِ ، فَقَد نَقَر عَيْنَـهُ دِيكٌ نَقْرَةً أَوْدَتْ بِحَيَاتِهِ ، فَمَاتَ ، وَتَغَيَّرَتْ حَيَاةُ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَد أَصَابَهَا المَرَضُ .

فى بِدَايَةِ هَذَا المَرَضِ كَانَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) قَدْ تَنَاسَى كُلَّ شَىْءٍ ، وَأَخَذَ يَسْتَعدُّ لِلْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللهِ .

وَصَلَ إِلَى عِلْمِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَكَّةَ بِمَا فِيهَا مِنَ المُشْرِكِينَ رَاحَتْ تَسْتَعدُّ للانْتِقَامِ مِنَ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ .

كَانَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) فِى مُقَدِّمَةِ المُجَاهِدِينَ الَّذِينَ نَوَوُا الخُرُوجَ مِنَ المَدِينَةِ وَلِقَاءَ المُشْرِكِينَ عِنْدَ مَاءِ بَدْرٍ ، وَلَكِنَّ العِلَّةَ اشْتَدَّتْ عَلَى السَّيِّدَة رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَتَمَكَّنَ المَرَضُ مِنْهَا فَأَفْقَدَهَا الحَرَكَةَ ، فَأَشَارَ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) بِأَن يَبْقَى فِى المَدِينَةِ لِيُمَرِّضَ زَوْجَتَهُ (رَضِىَ الله عنهَا) .

★ ★ ★



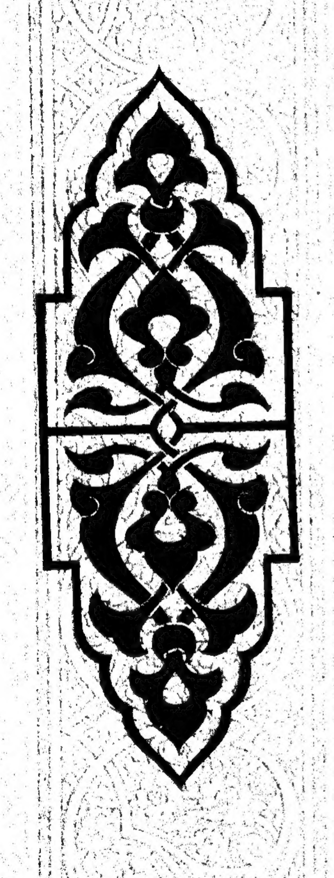
إِلَى لِقَـاءِ اللَّـه

بَقِىَ عُثْمَانُ (رَضِىَ الله عنهُ) يُمَرِّضُ زَوْجَـهُ ، وَيَسْهَرُ عَلَى رَاحَتِهَا ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ قَد انْتَهَتْ بِالنَّصْرِ المُبِين ، وَرَجَعَ المُسْلِمُونَ فَرِحِينَ مَسْرُورِينَ ، وَعَمَّتِ المَدِينَةَ فَرْحَةٌ كُبْرَى ، وَكَانَ أَوَّل نَصْرٍ كَبِيرٍ لِلْمُسْلِمِينَ .

كَانَتْ بُيُوتُ المُسْلِمِينَ فِى فَرَحٍ وَسُرُورٍ إِلَّا بَيْتَ عُثْمَانَ (رَضِىَ الله عنهُ) ، فَقَد كَانَ مَشْغُولًا بِمَا أَصَابَ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، فَقَدْ لَاقَتْ رَبَّهَا فَاخْتَلَطَتْ فَرْحَةُ النَّصْرِ بِالْبُكَاءِ عَلَى فَقْدِ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) .

ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَرَآهَا وَقَد صَعَدَتْ رُوحُها إِلَى بَارِئِهَا ، وَاجْتَمَعَ المُسْلِمُونَ حَوْلَ بَيْتِهَا وَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنَ الحُزْنِ مَا كَادَ يُغَطِّى عَلَى فَرْحَةِ النَّصْرِ عَلَى كُفَّارِ مَكَّةَ ، وَقَد أَثَارَ هَذَا المَوْقِفُ أَشْجَانَ النِّسْوَةِ ، فَاسْتَسْلَمْن لِلْبُكَاءِ والنَّحِيب ، وَأَحْيَاناً بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ .

وَغَسَّلَ بَعْضُ النِّسَاءِ رُقَيَّةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَأَوْصَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يَجْعَلْنَ فِى المَاءِ طِيباً ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا وَالِدُهَا ﷺ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَشَيَّعَتْهَا المَدِينَةُ كُلُّهَا إِلَى مَثْوَاهَا الأَخِير .



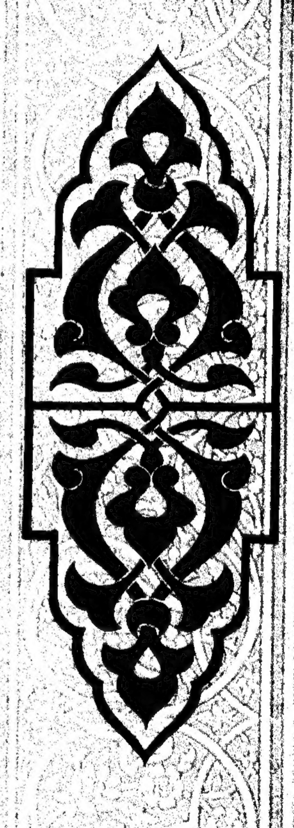
حَقًّا لَقَد كَانَتْ مَثَلًا أَعْلَى لِلْمُؤْمِنِينَ فِى تَحَمُّلِهَا لِلْمَرَضِ وَالآلَام ، وَمَا يُصِيبُ المُسْلِمَ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا المَمْلُوءَةِ بِالمَآسِى وَالآلَام ، رَحِمَهَا الله وَأَجْزَلَ لَهَا الثَّوَابَ وَالعَطَاءَ ، وَرَفَعَ لَهَا الدَّرَجَات .

★ ★ ★

وَإِلى اللّقاءِ بمَشيئَةِ اللّهِ مَعَ..

أمّ كلثوم رضي الله عنها الصّابرة العابدة .

★ ★ ★

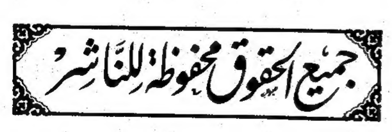


دَارُ الفَضِيلَة
لِلنشرِ وَالتوزيع وَالتصدِيرُ

الإدارة ، القاهرة - ٢٣ شارع محمّد يوسف القاضى - كليّة البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة ، ٧ شارع الجمهوريّة - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات ، دُبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦



وكيلنا فى المملكة المغربيّة :
دَارُ الاعْتِصَام
للطباعة والنشر والتوزيع
الرحمانى عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكى (الأحباس) . الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39



رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦١٩ / ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة .
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١